

قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد حسين رومل شري

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

والصّبح إذا تنفّس...

يقول الله تعالى في سورة التّكوير الآية الثامنة عشرة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم **«والصّبح إذا تنفّس»** صدق الله العليّ العظيم

وضّبَ حقيبتَه، وأفكاره كالعصافير تطيرُ من غصن إلى غصن، تارةً تحطُّ على تخيّلات الجامعة، وما إذا كان سيوفّق باختصاص يحبّه، ويتساءَل إن كانت الجامعة ستشبه في الحقيقة الصورة المطبوعة في أذهان أغلب الطلّاب؟ ثم تطلُّ قاعة الامتحانات الرّسمية من كوّة صغيرة، فيشعر بضيق ضغط الدّروس والتحضيرات، أوَليسَ مَن طلبَ العُلا سهر اللّيالي؟ ولكنّه يتنفّسُ الصّعداء شاكرًا الله تعالى على أنّه نجح في اختبار الثانوية، وما هذه الزّيارة القصيرة إلى قرية صديقه «العديسة»، إلا ّفرصة استجمام وراحة، قبلَ العودة إلى معتركِ الحياة من جديد.

كان سلامُه على أصدقائه في الحيّ سريعاً، وكذا الأمر معَ أخوته الّذين حرص على إعادة وصاياه اليوميّة لهم، بدءًا من الاستيقاظ لصلاة الصّبح، ثم مساعدة والدَيهم، والانتباه إلى بعضهم، والقيام بواجباتهم...

إنّها المرّة الأولى التي يزور فيها قرية «العديسة» المتاخمة لفلسطين المحتلّة، ليس هناك أجملَ مِن أن يقفَ قربَ الحدود مع فلسطين، يراقبُ أشجار الزّيتون، يشمُّ الهواء المفعمَ برائحة دماء شهداءٍ قدّموا ربيعَ العمر من أجل أن تقف الأجيال هنا. فيلامس بصرها فلسطين.

كان حسين يقول في نفسه: علينا أن لا ننسى أن هذه الأرض كانت محتلة. وأن الشّباب، فتية وفتيات، كانوا يُساقون إلى المعتقل، وأنّ الخدمة العسكرية في ميليشا لحد كانت إلزاميّة، وأنّ خيرات الأرض، وحياة وأموال الناس، والبيوت، كلّها كانت تحت رحمة العدو وعملائه. إلى أن انتصرتِ المقاومة في أيار من العام 2000، وتحرّر الوطن.

ثم يفكّر بأولئك الشاب الذين ينظرون إلينا من عليائهم. كثيرًا ما قرأ قصص الشهداء، ليس للاستئناس بقصصهم فحسب، بل للبحث في تفاصيلها عمّا يساعده في سلوك طريقه. بلى ، لم يكن حسين غافلاً عن أن طريقه يجب أن توصله إلى الله. أوَليس كلّ عاشق يسعى إلى حبيبه؟ لذا وضع مذ كان فتيًّا برنامجًا عباديًّا خاصًّا به، لم يقصّر فيه أبدًا، وكان هذا الالتزام بوابة كلّ خير له، فقد تجلّت في قلبه خفقات الحبّ الخالص للّه، ولم يعُد يعنيه في هذه الدّنيا إلاّ أن يكون جنديًّا مخلصًا في جيش صاحب الزّمان.

عندما تقرأ دعاء العهد كلّ صباح... فإنّك تسلّم قلبك لمن لن ينساك. تضع روحك أمام عينيه، فإن نادى ذات يوم: **«ألا من ناصر ينصرني»**، صرختَ ملبّيًا: **«لبيّك لبيّك...»**.

تلك الدّموع الّتي حرقت وجنتيه في مجالس العزاء وهو يتخيّلُ كيفَ وقف الإمام الحسين عليه السلام وحيدًا في ساحة المعركة، بعد أن استشهد كلّ أخوته وأبناؤه وأصحابه، ونادى: **«ألا من ناصر ينصرني؟»**، هي التي دفعته للتفكّر يوميًّا بتلك اللّحظة التي سيلبّي فيها النّداء، لم يكن يعلم أنّ ذلك اليوم قاب قوسين أو أدنى.

لم يكَد حسين يستقر ليومين، حتّى نشبت حرب تموز في العام 2006، فكان قرارُ عودته مباشرة إلى أهله، وعدم البقاء في منطقة لا يعرفها، ولكن حسين أبى أن يتزحزح من مكانه، فقد رفض الرجوع إلى بيروت لملاقاة أهله، فحاولوا معه الترهيبَ بأنه غريب عن القرية ولا يعرف طرقاتها وهذه مشكلة أساسيّة، وأنّ الحرب هنا ستكون مباشرة مع جنود النّخبة، وأنّ الموت حاضر مع كلّ نفس، ثم انتقلوا إلى الترغيب، أنت في ربيع العمر، الجامعة بانتظارك، أمّك وأبوك وأخوتك، أشياؤك، أحلامك... ولكنّه أصرّ على البقاء: **«أوَليست كلّ أرض كربلاء؟! هُنا كربلائي»**، فكتبَ وصيّته، وفيها الأيّام المتبقّية من صيام شهرين متتالين كفارة إفطار عمد، لم يرضَ دفعَ كفارته، بل أصرّ على صيامهما في أيّام الصّيف اللّاهبة...

بقيَ حسين مرابطًا في «العديسة» في ظروف قاسية، انقطعَ فيها الجميعُ مِن الماء والطعام إلاّ الفتات، إلى أن تنفّس صبح ذلك النهار... فكان صوت عهده الصباحيّ يتردّد صدًى: **«اللّهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمستشهدين بين يديه»**.

كان عليه موافاة المجاهدين في الجانب الآخر من القرية، ولكنّ مساعدته لجريح أخّرته عنهم، والخيرُ كان فيما وقع، إذ اكتشف أنّ مجموعةً كبيرةً من الجنود الصهاينة تقترب من الساحة. فطلب إلى الجريح إكمال الطريق، وبقيَ وحدَه متربصًا بالعدو.

الآن عليه أن يبرزَ والقتال وحدَه. خفقَ قلبه بشدّة، ليس خوفًا. لا.. بل شوقًا. لمعتْ عيناه كعيني صقر وهو يعدّ الجنود... واحد، اثنان، ثلاثة... توقف عن العدّ، كانوا أكثر مما توقع...

الساحةُ خاليةٌ إلّا من أصوات أقدام تقترب... إصبعُ حسين على الزناد... وعينه على المنظار... وحانت اللّحظة... كان يقفز بخفّة من مكان إلى آخر، وصوت الرّصاص يضجّ في الأرجاء.. اتّكأ الجريح على جدار منزل، وشدّ قبضته وأغمض عينيه ليدعو له...

خرج المجاهدون بسرعة من سواترهم ليعرفوا مصدر صوت مواجهة ملحمية.. صرخ أحدهم: «هناك معركة في الساحة...». احتدمت المعركة بين شاب ومجموعة من الجنود... لم تسقطه رصاصاتهم، فروح المرء تسكن بيت النار عندما يتمزّق جسدُ صاحبها... وكلّما نزفَ دمه أكثر، ازداد إصراره وعزيمته أكثر... حتّى كانت آخر رصاصة، وآخر الأنفاس...

والصّبح إذا تنفّس...







